الردُّ على الطاعنينَ في سيد المُرسَلينَ مِنْ خِلال تفسيرِ آية ﴿رَحمَة للعالمين﴾

أ .م.د. احتراس شاكر فندي خضر الكبيسي
كلية الامام الاعظم - الأنبار
د. ابو الفتوح عبد القادر شاكر فندي خضر الكبيسي
الجامعة العراقية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث الامين الذي ارسله الله رحمة للعالمين وعلى اله واصحابه الغر الميامين.

أما بعد:

إن اعداء الإسلام يحاولون بكل ما اوتوا من قوة ومال وعتاد القضاء على هذا الدين والتشويش على رسول الله الكريم - ﷺ - وسخروا لذلك الاموال الباهظة ووسائل سريعة متطورة وكلما اخفقت وسيلة ابتكروا اخرى ويرفعون لهذه المعركة اعلاما شتى في خبث ومكر وتورية ..... فتارة يشككون الناس في ثوابت الدين، وتارة يطعنون في رواة الحديث وذلك لهدم السنة، وتارة يخرجون علينا بكتاب الفرقان ويحاولون استبداله بالقرآن، وتارة يلقون الشبهات على ضعاف العقول ليشككوهم في دينهم، وتارة يلقون بالشهوات على الناس وذلك عن طريق الاعلام الناجم الفاجر الذي يشيع الفواحش وينشر الرذيلة حتى ينجلف الشباب في التيار الاباحية والفجور فلا ينفعهم نصح الناصحون ووعظ الواعظين، كما قال بعض ائمة الكفر : كأس وغانية يفعلان في امة الشرق اكثر مما يفعله الف مدفع وتارة يشوهون صورة الملتزمين بهذا الدين وشرع ارحم الراحمين ويرمونهم بالرجعية والتطرف والتعصب والارهاب ويحاولون القضاء عليهم تحت مسمى القضاء على الاسلام .

ولما تلقت الامة الاسلامية هذه الطعنات باستكانة واستسلام تام وبدون دفاع وذلك لما اصابهم من وهن وضعف نتيجة حب الدنيا وكراهية الموت وحب الشهوات وفساد في الاخلاق ولما احس اعداء الاسلام بهذا الضعف والوهن من المسلمين كانت الطعنة الاليمة النافذة طعنة تصاعدت غيومها في سماء الامة تخيم بظلالها على مليار ونصف

المليار من المسلمين ذلك الهجوم السافر والحرب البربرية على خير البرية والتطاول الوقح البذيء على حبيب الرحمن سيد ولد عدنان ووصفه بالقاتل والمتعدي بدأت الفكرة عندي تنضج في الدفاع عن رسول الله ﷺ، ولما سب الغرب رسول الله قامت الدنيا وما قعدت وهاج المسلمون وماجوا وعلت الاصوات وبحت الحناجر وثار الغضب والان هدأت الانفاس وخمدت نيران الغضب وكأن شيئا لم يكن وهذا ما قاله الغرب حيث قالوا : ان هي الا ايام وينسى المسلمون فأحببنا ان اجدد محبة النبي في قلوبنا وابين كيف ندافع عنه في هذه الحرب البربرية عن خير البرية .

فلو قرأوا سيرة الرسول ما كانوا عليه يفترون فمن صفاته الرحمة وانظر الى احسانه واخلاقه الكريمة وكيف وصل بهما في نشر الدعوة وهذا هو شأن أهل الكرم في كل زمان وكان النبي ﷺ رحيما فوصفه ربه بقوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] فهو رحمة للبشرية وورد عنه أنه قال: (إنما انا رحمة مهداة وما خُير رسول الله بين أمرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وانكارا على الثلاثة الذين شددوا على انفسهم في العبادات وقال ولكنني اقوم وأنام، فأصوم وافطر، فمن رغب عن سنتي فليس مني وافطر في سفرة في رمضان، وقصر الرباعية، وجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في السفر، وما كان الرفق في شيء الا زانه وما نزع الرفق من شيء الا شانه وانكر على عبد الله بن عمرو بن العاص ارهاق نفسه بالعبادة، فأمته الامة المرحومة فهو ﷺ سهل الميسر، رحيم في رسالته، ودعوته، وعبادته، وصلاته، وصومه، وطعامه، وشرابه، ولباسه، وحله، وترحاله، واخلاقه، فالحياة مبنية على اليسر، بأنه جاء لوضع الاصار والاغلال عن الامة فليس اليسر اصلا الا معه، فهو اليسر كله وهو الرحمة والرفق بنفسه ﷺ.

(١) سورة الأنبياء ،الآية :١٠٧.

المبحث الاول
معرفة الرحمة واقسامها

المطلب الاول: تعريف الرحمة لغة واصطلاحا

الرحمة لغة: تطلق الرحمة في اللغة على الرقة والعطف والرأفة وهي مشتقة من رحم يرحم إذا رق له وتعطف عليه ومنه الرحم والمرحمة والرحم ومنه ذات الارحام وهي علاقة القرابة من الرحم[1] وتراحم القوم : أي رحم بعضهم بعضا، والرحموت والرحمن والرحيم : كلها مشتقة من الرحمة[2] والرحمة تطلق على المغفرة وقد وصف الله القرآن بالرحمة[3] فقال : {ولَقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون } [الاعراف : ٥٢] ولك في لفظ الرحمة (الرحمة) بسكون الحال (والرحمة) بتحريكها وقد نسبه ابن منظور لسيبويه[4] .

وخلاصة القول أن الرحمة يراد بها في اللغة الرقة والعطف والحنان وهي موجودة داخل الكائن الحي وقد توصف به غيره كما وصف القرآن بأنه رحمة .

الرحمة اصطلاحا: وأما معناه في الاصطلاح فهي لا تخرج عن المعنى اللغوي وهي يراد بها الرأفة واللين أيضا قال تعالى { فبما رحمة من الله لينت لهم ولو كنت فظا غليظ

---

(١) ينظر: الصحاح في اللغة: للجوهري ١/ ٢٤٧، مادة (رحم) ومعجم مقاييس اللغة: لابن فارس ٢/ ٤٩٨ مادة (رحم) ولسان العرب: لابن منظور ١٢/ ٢٣٠ مادة(رحم).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة: لابن دريد ١/ ٢٦٦، باب الحاء والراء وما بعدها، [ح – ر – م]، والصحاح في اللغة: للجوهري ١/ ٢٤٧ .

(٣) لسان العرب: لابن منظور ١٢/ ٢٣٠ مادة (رحم).

(٤) المصدر نفسه ١٢/ ٢٣٠ .

القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين} [ال عمران: ١٥٩] فقد فسر الامام الطبري الرحمة في هذا الموضوع وقال (فتأويل الكلام : فبرحمة من الله، يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من اصحابك لنت لهم)[١] والرحمة هي ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم[٢] واللين يراد به التسهيل في الاخلاق وكثرة الاحتمال[٣] ومما يدل على هذا المعنى قوله [فضا] أي: جافا [غليظا] أي: قاسيا كيف لا وقد وصف حبيبنا نبي الرحمة بالرأفة في قوله تعالى { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } [التوبة: ١٢٨] فقد من الله تعالى على المؤمنين بما أرسل الله إليهم رسولا من جنسهم وعلى لغتهم كما قال: جعفر بن ابي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى[٤] (بعث فينا رسول الله نعرف لسانه وصدقه، ووفاءه، فدعانا الى أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وخلع ما كان يعبد قومنا وغيرهم من دونه، فأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر، وأمرنا بالصلاة، والصيام، والصدقة، والصلة الرحم ..... الخ)[٥] وكل ذلك يجمعنا ويرشدنا الى نتيجة واحدة في هذا النبي وهي قوله تعالى { وما

(١) جامع البيان في تأويل القرآن: للإمام الطبري ٧/ ٣٤١ .
(٢) الكشاف: للزمخشري ١/ ٣٤١ .
(٣) معالم التنزيل: للإمام البغوي ٢/ ١٣٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ٤/ ٢٤١ .
(٥) أخرجه الطبراني في معجمه ٢/ ١١١، رقم الحديث ١٤٨٠، واخرجه الحاكم والمستدرك عن أبي اسحاق عن أبي بردة عن ابي موسى رضي الله عنه (إن اللَّهَ بَعَثَ فينَا رَسُولَهُ، وَهُوَ الرَّسُولُ الَّذي بَشَّرَ به عيسَى برَسُول يَأْتي منْ بَعْده اسْمُهُ أَحْمَدُ فَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ به شَيْئًا، وَنُقيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتي الزَّكَاةَ، وَأَمَرَنَا بالْمَعْرُوف، وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَر قَالَ: فَأَعْجَبَ النَّاسَ قَوْلُهُ فَلَمَّا رَأَى ذَلكَ عَمْرٌو قَالَ لَهُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلكَ، إنَّهُمْ يُخَالفُونَكَ في عيسَى ابْن مَرْيَمَ فَقَالَ النَّجَاشيُّ لجَعْفَر: مَا يَقُولُ صَاحبُكَ في ابْن مَرْيَمَ؟ قَالَ: يَقُولُ فيه قَوْلَ اللَّه: هُوَ رُوحُ اللَّه، وَكَلمَتُهُ، أَخْرَجَهُ منَ الْبَتُولِ الْعَذْرَاء....الخ) ٣/ ٣٣٨،

أرسلناك الا رحمة للعالمين } [الانبياء: ١٠٧] والتي سيكون بحثنا يتضمن هذه الآية والتحدث عنها وبيان المراد منها والله الموفق .

المطلب الثاني: اطلاقات الرحمة في القرآن الكريم .

وذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن على ستة عشر وجها :-

احدها: الجنة ومنه قوله تعالى : {أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم } [البقرة من الآية : ٢١٨] ومنه أيضا : { وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون } [آل عمران: ١٠٧]، وفي سورة النساء فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما } [النساء: ١٧٥] .

والثاني: الاسلام ومنه قوله تعالى { والله يختص برحمته من يشاء} [البقرة: من الاية: ١٠٥] { يدخل من يشاء في رحمته }[الانسان: من الاية : ٣٣١] .

والثالث: الايمان ومنه قوله تعالى في سورة هود { قل يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون } [هود: ٢٨] وفيها ايضا { واتاني منه رحمة } [هود من الاية : ٦٣] .

والرابع: النبوة ومنه قوله تعالى { اهم يقسمون رحمة ربك } [الزخرف من الآية : ٣٢] ومنه : { ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب } [ص : ٩] .

والخامس : القرآن ومنه قوله تعالى في يونس : { قل بفضل الله و برحمته فبذالك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون } [يونس : ٥٩] ومنه قوله : { وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا } [الاسراء : ٨٢]

والسادس : المطر ومنه قوله تعالى في الأعراف : { وهو يرسل الرياح بشرا بين يدي

رقم الحديث ٣٢٠٨، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

رحمته } [الأعراف : ٥٧]، و في الروم : { فانظر الى رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها } [الروم : ٥٠] وفيها { ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته } [الروم من الآية :٤٦] .

والسابع : الرزق و منه قوله تعالى في بني اسرائيل : { قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي } [الاسراء من الآية : ١٠٠]، وفي الكهف : { فقالوا ربنا اتينا رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا } [الكهف من الآية : ١٠] وفيها ايضا { ينشر لكم ربكم من رحمته } [الآية : ١٦]

والثامن : النعمة ومنه قوله تعالى في سورة النساء : { لولا فضل الله عليكم ورحمته } [النساء :٨٣]، و في الكهف : { فوجد عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما } [الكهف : ٦٥] .

والتاسع: العافية : ومنه قوله تعالى في الزمر: { أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } [سورة الزمر من الآية: ٣٨] .

والعاشر: النصر: ومنه قوله تعالى في الاحزاب: { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } [الاحزاب: ١٧].

والحادي عشر: المنة : ومنه قوله تعالى في القصص: { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصص: ٤٦] .

والثاني عشر: الرقة: ومنه قوله تعالى في الحديد: { وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً } [الحديد: ٢٧] .

والثالث عشر: المغفرة : ومنه قوله تعالى في الانعام: { كتب ربكم على نفسه الرحمة [

الانعام: ٥٤] .

والرابع عشر: السعة : ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ } [سورة البقرة : ١٧٨] .

والخامس عشر: المودة: ومنه قوله تعالى في الفتح: { محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم } [الفتح من الاية: ٢٩].

والسادس عشر: العصمة : ومنه قوله تعالى في يوسف: { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } [يوسف : ٥٣] .

وقد الحق بعضهم وجه السابع عشر فقال: الرحمة: الشمس، ومنه قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ }[الشورى: ٢٨][1].

المطلب الثالث: أقسام الرحمة :-

إن الرحمة باعتبار الأصل فهي واحدة النظر الى التفريق بين رحمة الخالق ومخلوقه فهي على قسمين:-

أولاً : رحمة الخالق، وأما في حق الخالق فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وهو قادر مع كمال رحمته، فاذا كان سبحانه كامل القدرة فإنه كامل الرحمة، فقد ورد الرحمة في الصحيحين حدثنا ابن ابي مريم حدثنا ابو غسان قال حدثني زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قدم على النبي ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسقي اذا وجدت صبيا في السبي اخذته فألصقته ببطنها وارضعته فقال لنا النبي ﷺ (أترون هذه طارحة ولدها في النار) قلنا لا وهي تقدر على ان لا تطرحه فقال:

(١) نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : لابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ١/ ٣٣١ .

(لله أرحم بعباده من هذه بولدها)[1] وان هذه المرأة سبيت دون ولدها وكانت تفعل هذا بالصبيان شوقا اليه[2]، وان رحمة الله عز وجل أوسع بكثير من ذلك وقد ورد في البخاري ومسلم ان رحمته سبقت غضبه فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي)[3]، وان رحمة الله لا يمكن ان ندركها كيف وان لله مائة رحمة انزل واحدة بين الخلائق وادخر ما بقي منها لحكمة لا يعلمها الا هو فقد ورد في الحديث (ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكفار لكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار)[4] فهذه نبذة مختصرة عن رحمة الخالق التي هي الاصل في الرحمة التي ترجع اليها رحمة كل مخلوق فهي مشتقة منها والله اعلم بما فيها رحمة النبي على وجه الخصوص .

ثانيا: رحمة المخلوق : من خلال عرض الاحاديث الأنفة ذكرها في القسم الأول تبين ان هناك رحمة تكون في جميع المخلوقات وتلك الرحمة التي بين الاخلاق جزء من رحمة الباري عز وجل والذي يخصنا من بحثنا هذا المتواضعة رحمة النبي ﷺ فقد بين الامام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٣٥، رقم الحديث ٥٦٥٣، باب رحمة الولد وتقبيله، وأخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ٩٧، رقم الحديث ٧١٥٤، باب سعة رحمة الله .

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي : تحقيق علي حسين البواب ١/ ٦٥ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١١٦٦، رقم الحديث ٣٠٢٢، باب ولقد سبقت كلمتنا، واخرجه مسلم بلفظ آخر، عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي) ٢/ ٩٨، رقم الحديث ٧١٤٧، باب سعة رحمة الله .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٣٧٤، رقم الحديث ٦١٠٤، باب الرجاء مع الخوف .

ابن تيمية – رحمه الله – ان ارساله عليه الصلاة والسلام هو رحمة منه تعالى فقال: (واما في حق الخالق فهو سبحانه أحم بعباده الوالدة بولدها وهو قادر مع كمال رحمته فاذا كان كامل القدرة كامل الرحمة فما المانع ان يرسل اليهم رسولا رحمة منه ؟ كما قال تعالى : {وما ارسلناك الا رحمة للعالمين } الاية و قال النبي ﷺ (انما انا رحمة مهداة)[1] ولان هذا من جملة احسانه الى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم ....)[2] والله سبحانه أرسل محمدا ﷺ للناس رحمة وانعم به نعمة يا لها من نعمة! الا ترى ان الله ذم الذين كفروا بمحمد ﷺ فقال: (الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار)[3] وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ فارساله اعظم نعمة انعم الله بها على عباده يجمع الله لامته بخاتم المرسلين وامام المتقين وسيد ولد ادم اجمعين ما فرقه في غيرهم من الفضائل وزادهم من فضله انواع الفواضل بل اتاهم كفلين من رحمته[4] كما قال تعالى { يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسله يؤتيكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم }[5] ومن خلال هذا العرض تبين ان لله مأئة رحمة أنزل واحدا بين الخلائق وادخر الباقي منها وان هناك رحمة في أصل الشيء والتي هي منها رحمة المخلوقات فرحمة المخلوقات جزء من رحمة الله وقد خص الله تعالى نبيه برحمة ذات طابع خاص به فرحمته اوسع من رحمة جميع المخلوقات بدليل الايات الانفة ذكرها الاحاديث الواردة في الباب ولا عجب في ذلك فقد خص هذا الرسول بخصائص على جميع الانبياء والرسل كما بين

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٩١، رقم الحديث ١٠٠/ كتاب الايمان، وقال : هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا جميعاً بمالك بن سعير و التفرد من الثقات مقبول .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تنمية ٦/ ١٣١.
(٣) سورة ابراهيم: الآية ٢٨ .
(٤) الجواب الصحيح لابن تيمة ١/ ٧٦ .
(٥) سورة الحديد: الآية ٢٨ .

ﷺ انه اعطي خمس لم يعط احد قبله فهذه خصوصيته على الرسل والانبياء كما خصه على جميع امته منها تزوجه التسع من النساء وغيرها فما المانع ان تكون رحمته خاصة به وهي واسعة كباقي ما اختص يبه الا أنها لا تقدر برحمة الله تعالى كما ذكرنا فالرحمة هي اسم من اسمائه فقد ورد عن أبي موسى الاشعري قال كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه اسماءً فقال (انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة)[1] وقد سماه الله رؤوفا رحيما قال تعالى : { لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }[2] بل هو موصوف في التوراة الصحيحة الغير المحرفة بانه يعفو ويصفح، فقد أخرج البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن عاص – رضي الله عنهما – فقلت : أخبرني عن صفة رسو ل الله (في التوراة، فقال : اجل والله انه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن : يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصلح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقول : لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا آدانا صما وقوبا غلفا)[3] وصدق ربنا حيث قال: {وما ارسلناك الا رحمة للعالمين }[4] .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/ ٩٠، رقم الحديث ٦٢٥٤، باب في أسمائه ﷺ .
(٢) سورة التوبة : الآية : ١٢٨ .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٣١، رقم الحديث ٤٥٥٨ .
(٤) سورة الانبياء الآية: ١٠٧ .

المبحث الثاني
رحمة النبي ﷺ

التمهيد

إن المتتبع لسيرة النبي يجد اثر هذه الرحمة والرأفة في كل موقف من مواقف النبي الجليلة بابي هو وامي ونفسي يا رسول الله ونحن لا نقول ان الرحمة هي مقتصرة على عالم واحد، وهو عالم الانس والجن كما ذهب اليه المفسرون وهو مختلف في هذه الرحمة في هل هي شاملة للمؤن والكافر أم هي خاصة بالمؤمنين دون الكافرين على قولين[1] ورجح الامام الطبري وعزه الامام بن عباس: (وهو ان الله ارسل نبيه محمد ﷺ رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم فأما مؤمنهم فان الله هداهم به، وادخله بالأمان به، بالعمل بما جاء من عند الله الجمة واما كافرهم فانه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمام المكذب رسلها من قبله)[2] واليه ذهب الألوسي ووجه ذلك انه عليه الصلاة والسلام ارسل بما هو سبب سعادة الدارين والمصلحة النشأتين الا أن الكافر فوت على نفسه الانتفاع بذلك واعرض لفساد استعداده عما هنالك فلا يضر ذلك في كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل رحمة بالنسبة اليه ايضا كما لا يضر في كون العير العذبة مثلا نافعات عدم انتفاع الكسلان بها وهذا ظاهر الخلاف لمن ناقش فيه واما القول الثاني فقد ضعفه ولا يرى فيه

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٨/ ٥٥١، ومعالم التنزيل للبغوي حققه وخرج احاديثه: محمد عبد الله نمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش ٥/ ٣٥٩، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٣٩٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٤/ ٤٢٨، تفسير قرآن العظيم لابن كثير ٥/ ٣٨٥، انوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١١١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعلبي ٣/ ٦٨ .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٨/ ٥٥١ .

انه قول يعتد به[١]، وقال القاضي ابو محمد يحتمل الكلام ان يكون معناه (وما ارسلناك للعالمين الا رحمة) أي هو رحمة في نفسه وضعفه ابن عطية، واعرض عنه من اعرض[٢] بينما يرى النعماني صاحب الباب في تفسير الكتاب ان الملائكة من جملة العالمين فكان عليه السلام رحمة عليهم فوجب ان يكون افضل منهم[٣] وقد ذكر لنا ابن عاشور ان هذه الرحمة تشمل حتى الحيوان[٤] (وان اريد بالعالمين) في قوله تعالى (الا رحمة للعالمين) نوع من انواع المخلوقات ذات الحياة فان الشريعة تتعلق باحوال الحيوان في معاملة الانسان اياها وانتفاعه به اذ هو مخلوق لاجل الانسان واستدل بقوله تعالى { والذي خلق لكم ما في الارض جميعا }[٥] وقوله {والانعام خلقها لكم فيها دفئ ومنافع ومنها تأكلون }[٦] ومن خلال ما تقدم فقد راى اكثر المفسرون ان الرحمة تشمل عالم الانسان والجن سواء كان مؤمنا ام غير مؤمن وان الانسان بامس الحاجة الى تلك الرحمة كافة دون الاقتصار على بعضهم كما وضح ذلك سيد قطب – رحمه الله – (ان الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وان محمد ﷺ انما ارسل رحمة للعالمين، من آمن به ومنهم من لم يؤمن به على السواء، فالبشرية قد تاثرت بالمنهج الذي جاء به طائعة او كارهة شاعرة او غير شاعرة ؛ وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة، لمن يريد ان يستظل بها ويستروح فيها نسائم السماء الرخية، في هجير الارض المحرق وبخاصة في هذه الايام، وان البشرية اليوم لفي اشد حاجة الى حس هذه الرحمة وندائها . وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية وجحيم

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظم والسع المثاني للألوسي ١٧/ ١٠٤، ١٠٥ .
(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية الاندلسي ٤/ ٤٧٨ .
(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١/ ٢٢٦ .
(٤) ينظر: التحرير التنوير لابن عاشور ١/ ٢٧٤٩ .
(٥) سورة البقرة: من الآية ٢٩ .
(٦) سورة النحل الآية ٥ .

الحروب وجفاف الارواح والقلوب ....)[1].

الا اننا نقول بما تنشرح له صدورنا ان الرحة تشمل جميع المخلوقات وليست خاصة بعالم واحد بل شملت العالمين جميعا فهي شملت عالم الانسان وعالم النبات وعالم الحيوان والارض والسماء والملائمة وعالم الدنيا وعالم الاخرة ومما يدل على قولنا ما يأتي:-

١. لقد ذكر الله تعالى ان النبي ﷺ رحمة للعالمين والعالمين لفظ جمع مفرده عالم والعالم ما سوى الله فيطلق على الكل اليس الله تعالى يقول في اول الكتاب {الحمد لله رب العالمين}[2] فقد ورد في تفسير هذه الآية ان العالمين تشمل جميع المخلوقات فقد ورد عن ابن عباس في تفسير : {الحمد لله رب العالمين}، الحمد لله الذي له الخلق كله: السماوات والارضون ومن فيهن وما بينهن، مما يعلم ولا يعلم[3] بينما اوصلها ابو العالية ثمانية عشر الف عالم، او اربعة عشر عالم ما عدا الانس والجن فقد عدهما كل واحد منهما عالم.[4] وذهب الامام الرازي فيما ذكرناه وهو يرى أن العالمين ما سوى الله وقسمه ثلاثة اقسام : المتحيزات، المفارقات، والصفات . أما المتحيزات فهي اما بسائط او مركبات، او البسائط فهي الافلاك والكواكب والامهات، واما المركبات فهي المواليد الثلاثة ....، فهو تعالى قادر على ان يخلق الف الف عالم خارج العالم ؛ بحيث كل واحد من تلك العوالم أعظم واجسم من هذا العالم، ويحصل في كل واحد منها مثلما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسماوات والارضين الشمس والقمر .....[5] واكد ابن كثير ذلك

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ١٧٧

(٢) سورة الفاتحة : ٢ .

(٣) ينظر: جامع البيان في تاويل القرآن للطبري ١/ ١٤٤ .

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٤٦ .

(٥) مفاتيح الغيب، للرازي ١/ ٢ .

في تفسير العالمين بما ذكرناه انفا فقال (والعالمين : جمع عالم، [وهو كل موجود سوى الله عز وجل]، والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم اصناف المخلوقات [في السماوات والارض] في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل عالما ايضا[1].

٢. ان المتتبع لسيرة النبي ﷺ يجد ان الرحمة قد دخلت الى عالم الانسان والجن ودخلت في عالم النبات وعالم الحيوان وغيرهما ولا احد يمكن ان ينكر ذلك وسنذكر الامثلة على ذلك لاحقا .

٣. لقد غالت بعض الفرق فجعلت الرسول ﷺ نوره خلق منه كل شيء ويجعلون ذلك من باب الرحمة ونرد عليهم ونقول لو كان ذلك فما الفرق بين رحمة الرسول ورحمة الله تعالى .

٤. على القارئ لا يظن بنا اننا غالينا في رحمة النبي فقد ذكرنا انفا ان رحمة المخلوقات بما فيها رحمة النبي ﷺ لا تعادل سوى رحمة من الرحمة الله التي قسمها الى مائة رحمة فلو قدرت رحمة الرسول برحمة الله لوجدت فرقا شاسعا امام رحمة الله تعالى.

٥. قولنا ان رحمة النبي اي انها دخلت في كل عالم منها بجزء فهي دخلت له من باب واحد مثلا رحمة النبي بالنبات فانه اوصى بعدم قطع الشجرة فهي رحمة من منفذ واحد لكن لو نظرت الى رحمة الله فهي متعددة من كل الجوانب في ايصال الماء واشعة الضوء الصادر من الشمس والهواء وتركيب الطعام داخل النبات فرحمة الله متعددة من كل الجوانب ومن خلال هذا العرض يلاحظ القارئ الفرق بينهما .

٦. لو كانت رحمة النبي شاملة لعالم الانس والجن كما قال المفسرون بذلك دون بقية المخلوقات لكان قوله تعالى {العالمين} لا فائدة لها في هذا الباب فلماذا عندما امر الله تعالى

(١) تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ١/ ١٣١ .

بالعبادة فقال { وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون }[1] ذكر الانس والجن في العبادات ولم يقل وما خلقت العالمين الا ليعبدون فلفظة العالمين تدل على ان المراد بها ليس الانس والجن فقط والله اعلم بمراده .

٧. الاحاديث الواردة الصحيحة في انه بعث رحمة فهي تدل على الرحمة مطلقة دون التقييد في الانس والجن والله اعلم .

٨. الحصر الموجود في الآية وهو الاستثناء في سياق النفي فقال وهذا يدل على ان الرحمة هنا خاصة بالنبي دون غيره ومن جملة تلك الخصوصية انه رحمة للعالمين .

٩. لو كانت رحمة النبي ﷺ خاصة بالمؤمنين فقط على قول بعض المفسرين، فما الفرق بين رحمة النبي ورحمة الصحابة فيما بينهم فقد وصف ايضا بالرحمة في قوله { محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار}[2] فقلنا ان رحمة النبي تشمل كل العالمين حتى يكون هناك بين رحمة الصحابة ورحمته ﷺ وذلك لأجل الخصوصية التي اختص بها والله اعلم.

المطلب الاول: رحمة النبي منذ ولادته

يسرني ان اتحدث في هذا المطلب عن مواقف كانت في زمن ولادة سيد الكائنات محمد عليه الصلاة والسلام احداهما نصرة بيت الله الحرام والاخر عتق ابو لهب جارية له لما بشر بمولد لأخيه .

الموقف الاول :-

ولد النبي محمد ﷺ عام الفيل الموافق الثاني عشر من ربيع الاول يوم الاثنين[3] فقد

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦ .

(٢) سورة الفتح : من الآية ٢٩ .

(٣) ينظر دلائل النبوة: للبيهقي ١/ ٥ – ٩، السير النبوية: لابن كثير ١/ ١٩٩ ،عيون الاثر في فنون المخازي والشمائل وسير : محمد بن عبدالله بن يحيى بن سيد الناس ١/ ٣٩ .

ورد في الحديث ان اعرابيا قال : يا رسول الله ما تقول في صوم يوم الاثنين ؟ فقال : (ذاك يوم ولدت فيه، وانزل علي فيه) وهو يوم مشهود فيه ولد وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء، وفيه هاجر وفيه مات وعزاه ابن كثير الى انمه المشهور عند الجمهور[1] وفي هذا اليوم جاء ابره الحبشي بجيشه الجرار والمعروف بالفيلة الضخمة وكان عبد المطلب قد اضاع مائتي من الابل وهو يبحث عنها فادخله الانيس على ملك الحبشة ابره وقال (أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عين مكة، وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك فاليكلمك في حاجاته، فأذن له ابرهة، وكان عبد المطلب اوسم الناس واعظمهم واجملهم

، فلما رآه ابرهة اجله واكرمه عن ان يجلسه تحته، وكره ان تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جانبه، ثم قال لترجمانه : قل له حاجاتك ؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال حاجاته ان يرد على الملك مائتي بعير اصابها لي، فلما قال له ذلك، قال ابرهة لترجمانه: قل له : لقد كنت اعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني فيه!؟ فقال له عبد المطلب قولته المشهورة التي خلدها التأريخ الى يومنا هذا والى ان يرث الله الارض ومن عليها : (انا رب الابل، وللبيت رب يحميه)[2] فنصر الله بيته وامطر عليهم حجارة من سجين فجعلهم كعصف مأكول فان البيت اشتكى الى رب العزة والجلالة ملك يريد ان يهدمني فاستجاب الله نداء البيت العتيق لولادة سيد الكائنات محمد ﷺ فكان رحمته بولادته نصر الله بيته لأنه سيعلن ويرفع به لا اله الا الله محمد رسول الله وصدق الحديث قال { وما ارسلناك الا رحمة للعالمين } الآية .

(١) ينظر: السيرة النبوية: لابن كثير ١/ ١٩٩ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤ .

الموقف الثاني: - انه لما ولد حبيبي وحبيبكم محمد بشرت احدى الجواري عم النبي ابو لهب بمولود جديد وهو ابن اخيك عبد الله لما بشر بشراي بشرته بالمولد الجديد فشرها بعتق سريع ولأجل هذه البشارة خفف العذاب عن عم النبي الذي هو من اهل النار وانزل في حقه (تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب)[1] وخفف عنه العذاب بسبب ذلك العتق فقد ورد في الحديث أن العباسي -رضي الله تعلى عنه- قال لما مات ابو لهب رأيته في منامي بعد حول في الشر حال فقال ما لقيت بعدكم راحة الا ان العذاب يخفف عني كل يوم اثنين قال وذلك ان النبي ولد يوم الاثنين وكانت ثويبة بشرت ابا لهب بمولده فاعتقها [2] أليس ذلك من باب الرحمة وحق فيه ان نقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين

الموقف الثالث :- رحمته في نصرة العرب على العجم كان النعمان بن المنذر (٥٨٣ ه- ٦٠٥ م) واليا على الحيرة التابعة للفرس في الحكم آنذاك فلما غضب عليه كسرى بسبب وشاية دبرها زيد بن عدي العبادي فارسل كسرى الى النعمان يطلبه فخرج النعمان حتى نزل سرا على هاني بن مسعود سيد الي شيبان واودعه اهله وماله ثم توجه الى كسرى فحبسه كسرى ثم مات وولي على الحيرة بدله اياس بن قبيصة الطائي، وامره ان يرسل الى هاني بن مسعود يطلب من تسليم ما عنده - فأبى ذلك هاني حمية، واذن الملك بالحرب، ولم يلبث ان جاءته مرازبة كسرى وكتائبه في موكب اياس، ودارت بين الفريقين معركة هائلة عند ذي قار، انتصر فيها بنو شيبان وانهزمت الفرس هزيمة نكراء، وهذا اول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وهو بعد ميلاد الرسول ﷺ واختلف المؤرخون تحديد زمن هذه المعركة، فقيل: هو بعد ميلاد النبي ﷺ بقليل، وأنه ﷺ - ولد لثمانية اشهر من

(١) سورة المسد الآيات ١، ٢، ٣ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ١٤٥ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٩/ ٢٤٢

ولاية اياس بن قبيصة على الحيرة .[1]

المطلب الثاني: رحمته قبل البعثة

قبل بعثته ﷺ بخمس سنين جرف مكة سيل عرم، وانحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصا على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيبا، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزآ منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذو يبنونها، وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمسا، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد. فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعا بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه، وهذا حل حصيف رضي به القوم. [2] اليس ذلك يدل من باب رحمته؟ والا لتقاتلوا العرب فيما بينهم.

---

(١) الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ١/ ١٤ .

(٢) الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ١/ ٥٢.

المطلب الثالث : رحمته بالنبات

الموقف الاول: كان رسول الله ﷺ يأمر إذا أرسل جيشا للقتال على أن لا يقطعوا شجرة ولا يقطعوا نخلة وخص النخل بالذكر لأهميته فقد قال عليه السلام (بيت لا تمر فيه جياع اهله أو جاع أهله)[1] فعندما أرسل عبد الرحمن بن عوف بلواء ثم أمر-رسول الله ﷺ بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه فحمد الله تعالى وصلى على نفسه ثم قال خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء، قال ابن هشام فخرج الى دومة الجندل[2]

الموقف الثاني: عندما خرج النبي ﷺ مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف ووقفوا حوله فقال: اغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين للناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان، في رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأةً ولا صغيراً ولا مرضعاً ولا كبيراً فانياً، لا تغرقن نخلاً ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً.[3]

الموقف الثالث: رحمته بالجذع منبره السابق الذي حنَّ على النبي الذي فارقه لما صنع له منبر جديد فقد ((كَانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَى خَشَبَةٍ فَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالَ ابْنُوا لِي مِنْبَرًا فَسُوِّيَ لَهُ مِنْبَرٌ- إِنَّمَا كَانَ عَتَبَتَيْنِ- فَتَحَوَّلَ مِنَ الْخَشَبَةِ إِلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: فَحَنَّتْ إِلَيْهِ الْخَشَبَةُ حَنِينَ الْوَالِه، قَالَ أَنَسٌ: وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ أَسْمَعُ ذَلِكَ، قال: فو الله مَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ مِنَ الْمِنْبَرِ فَمَشَى إِلَيْهَا فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَنَتْ، فَبَكَى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٦/ ١٢٣ برقم ٥٤٥٨، باب ادخال التمر.
(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٣١.
(٣) المغازي: للواقدي١/ ٣٠٨.

الْحَسَنُ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ، أَفَلَيْسَ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ أَحَقَّ أَنْ يَشْتَاقُوا إِلَيْهِ)). (١)

واقول اليس الرجال في يومنا أحق بالدفاع عنه فانظر الى رحمة النبي بالجذع وكيف ضمه الى صدره واحتضنه كما تضم الوالدة ولدها وصدق في حقه الذي قال:((إنما بعثت رحمة مهداة))(٢)

المطلب الرابع : رحمته بالحيوان

فقد كان رسول الله ﷺ رفيقا بالحيوان مهما كان حجمه ولو صغيرا، وكان تاخذه به الرحمة والرفق؛ لأنه مخلوق من خلق الله وهو المبعوث رحمة للعالمين وجاء في الحديث عَنِ ابْنِ سَعْدٍ - قَالَ غَيْرُ أَبِى صَالِحٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِى سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ فَجَاءَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ». قُلْنَا نَحْنُ. قَالَ « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ». (٣) ومنها أمر النبي بعدم سجن الهرة بنية الانتقام وعدم إطعامها فقد جاء في الحديث عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ((عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لاَ هِىَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلاَ هِي تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)). (٤) فلينظر الغرب الى هذه الرحمة بالحيوان قبل أن يضعوا جمعية للحيوان وليأخذوا دروسا منها واقول لهم كيف تعتدوا

(١) دلائل النبوة: البيهقي ٢/ ٤٤٧ رقم الحديث ٨٢٦.
(٢) سبق تخريجه
(٣) أخرجه ابو داوود في سننه ٣/ ٨ رقم الحديث ٢٦٧٧، وقال الالباني صحيح.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٧/ ٤٣ رقم الحديث ٥٩٨٩، باب تحريم قتل الهرة.

على صاحب الحمة فإن فاقد الشي لا يعطيه .

المطلب الخامس: رحمته بالكفار

لقد شملت رحمة النبي ﷺ حتى الكفار على القول الراجح بين العلماء كما ذكرنا انفا منها :-

الموقف الاول: لما ذهب النبي لدعوة الطائف الى الاسلام فانهم كذبوه وضربوه فقد جاء في الحديث حدَّثَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِىِّ -ﷺ- حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِى فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِى رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِى بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).[1] فليسمع المجتمع الغربي اليوم في رحمة النبي وإنه لم ينزل العذاب فيهم وهو قادر عليه بأمر من الله، ولا اقول: سوى ما ارحم محمدا ﷺ.

الموقف الثاني : كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٥/ ١٨١ رقم الحديث ٤٧٥٤، باب ما القى النبي من اذى المشركين وينظر: دلائل النبوة : الاصبهاني ١/ ١٠٨، السيرة النبوية : لابن كثير ٢/ ١٥٣.

فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)). (١)

الموقف الثالث: مر يهودي برسول الله ﷺ فقال السام عليك فقال رسول الله ﷺ وعليك . فقال رسول الله ﷺ ((أتدرون ما يقول ؟ قال السام عليك) . قالوا يا رسول الله ألا نقتله ؟ قال (لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم)(٢) والسام هو الموت. (وعليكم) ما تستحقون من اللعنة والعذاب والموت وانظر الى هذا الموقف اليهودي يدعو على رسولنا بالموت ودعاه اصحابه الى قتل اليهودي فلم يقتله وهو قادر على ذلك اذا أمر ولم يفعل رحمة منه فصدق من قال:(إنما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا))(٣) وفي يومك قيل لرسولنا- ﷺ- ادعوا على المشركين أي ادع الله عليهم والعنهم فقال:((إني انما بعثت رحمة ،ولم أبعث لعاناً))(٤).

الموقف الرابع: لما دخل النبي ﷺ مكة فاتحاً وأن رسول الله ﷺ عفا عن مكة وأهلها وقال: ((من أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ونهى عن القتل إلا نفراً قد سماهم إلا أن يقاتل أحد فيقاتل، وقال لهم حين اجتمعوا في المسجد، ما ترون أني صانع بكم، قالوا : خيراً أخو كريم وابن أخو كريم. قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء))(٥).

وهناك مواقف كثيرة منها الجار اليهودي الذي كان يرمي بالأوساخ امام باب النبي،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٥٥ رقم الحديث ١٢٩٠، باب اذا اسلم الصبي فمات.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٥٣٨ رقم الحديث ٦٥٢٧، باب اذا عرض الي بسب النبي.
(٣) مسند ابي يعلى ١١/ ٣٥ رقم الحديث ٦١٧٤، والبيهقي في شعب الايمان ٢/ ١٤٤ رقم الحديث ١٤٠٣ فصل في اسمائه.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٨/ ٢٤ رقم الحديث ٦٧٧٨،باب النهي عن لعن الدواب.
(٥) معرفة السنن والاثار : البيهقي ١٤/ ٤١٧ رقم الحديث ٥٦٦٢.

ومنها اليهودي الي جاء ليقتل النبي بسيفه وسقط سيفه واخذه النبي واطلقه وغيرها من المواقف التي تثبت رحمته – ﷺ في الكفار.

المطلب السادس : رحمته بالأرض والسماء .

إن رحمته – ﷺ– شملت حتى الارض فقد رفع الله عن الارض العذاب بالكفار في قلب الارض عاليها سالفها كما فعل بالأمم السابقة وكل ذلك يعود رحمة بالنبي المهداة خاتم الانبياء وسيد المرسلين كما قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1] وأنزلت هذه على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة. قال: ثم خرجَ النبي ﷺ من بين أظهرهم، فاستغفر من بها من المسلمين[2]، وجاء في تفسيرها قولان :أحدهما: قول ابن عباس ما يعذب الله أهل قرية والنبي بين أظهرهم[3]، والثاني وما كان الله ليعذبهم وانت حي وبه قال ابو سليمان[4]، بينما يرى الحسن وعكرمة أن هذه الآية منسوخة بقوله «وما لهم الا يعذبهم»، وفيه بعد؛ لأن النسخ لا يدخل على الاخبار[5] ويقول الامام الطحاوي: (فأعلمه ﷺ أنه يرفع العذاب عنهم وإن كانوا يستحقونه باستغفارهم إياه وكان ذلك من باب الاستغفار)[6]. ومن خلال ما تقدم نرى أن العذاب رفع عنهم بسبب وجود النبيﷺبين أظهرهم وليس هو من باب الاستغفار الذي كانوا يقومون به لأنه ليس الكافر مخاطب بفروع الإسلام على الرأي الراجح هذا من باب، ومن باب آخر لن يقبل الله عمل الكافر مهما كان ذلك العمل من

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٣
(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري ١٣/ ٥٠٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي٧/ ٣٩٩.
(٤) زاد المسير : لان الجوزي ٣/ ٣٤٩.
(٥) المصدر نفسه ٣/ ٣٥٠.
(٦) مشكل الاثار : الطحاوي ١٠/ ٢٠٩ رقم الحديث ٣٩٨٧.

خير، والسبب في ذلك كفره ،ومما يدل على قولنا الحديث الذي ورد في الصحيحين والذي يخبرنا سبب نزول هذه الآية، والتي كان بسبب أبو جهل الذي أدعى لو أن الاسلام هو دين الحق لنزل العذاب فينا ، قال «ابو جهل: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم فنزلت ((وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهو يستغفرون[1])) [2] وهذا لا يدل إلا على رحمة النبي ﷺ الموجود بينهم وعلى الارض التي لم تعذب فهي رحمة بها ،وكذلك فيه رحمة للكفار ،فم يعذبوا أيضا ،والله أعلم .

ومنها أيضا: إن الأرض قد اصبحت وفيها الخير الكثير في ولادته ،كما نقلت لنا» حليمة السعدية «أمه في الرضاعة في سنة شهباء لم تبق لهم فيها شيئاً ، وفي ولادته ﷺ ولم يصبها القحط، بل أصابها الخير الكثير ،فقد كان رسول الله ﷺ يرعى الغنم «لحليمة «فتذهب تلك الأغنام جياع وتأتي شباعاً لبناً ،حتى كان الحاضرون يقولون :لرعيانهم أرعوا حيث يرعى أبن «حليمة» السعدية ثم تقول :وما زلنا نتعرف على الخير والزيادة حتى مضت سنتاه وفصلت .....[3] وفيه دلالة على كثرة المطر الذي ينزل من السماء، والخير، وهذا كله برحمته ﷺ ومنها إن الأرض أصبحت مسجداً وطهوراً أليس ذلك من باب رحمته في الأرض ،فقد ورد في الحديث : (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[4] ولم تكن قبل النبي الأرض كلها مسجداً وطهوراً ،وأختص بها نبينا دون غيره، أسألك

(١) سورة الانفال الآية : ٣٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،٤/ ١٧٠٤رقم الحديث ٤٣٧١.

(٣) ينظر سيرة أبن هشام ،١/ ١٦٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه،١/ ١٢٨،رقم الحديث ٣٢٨،كتاب التيمم ،عن جابر عبد الله ،وأخرجه الترمذي في الجامع الصحيح ٤/ ١٣٢،رقم الحديث ١٥٥٣،عن أبي هريرة فقال : هذا الحديث حسن صحيح، وقال الألباني صحيح ،باب الغنيمة .

بالله أليس التراب طاهرُ غيرُ مطهر، ونحن نغتسل منه ونتنظف ،فكيف أصبح طاهراً مطهراً ،فكل ذلك يعود إلى رحمة الرسول الأكرم ﷺ ولأجله كرمنا بهذا الشيء، وإن كان يرى الفقهاءُ إنه مطهر بالنية ،ولكن أقول الحكمة من ذلك تكريماً للرسول والدليل الحديث الوارد ذكره .ومنها رحمة في المعراج فقد خفف اللهُ الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات ،والأجر أجر خمسين ،وكان ذلك في السماء .

المطلب السابع : رحمته بالأطفال

فقد كان رحمه الله رحيماً بالأطفال أكثر من الكبار فذات يوم رأى طفلاً تقبض روحه فبكى -عليه السلام - فقد ورد عن أسامة بن زيد : كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت فقال الرسول : (أرجع إليها فأخبرها إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فأمرها فلتصبر ولتحتسب فعاد الرسول فقال : إنها قد أقسمت لتأتينها ،فقام النبي - ﷺ- وقام معه سعد بن عباده ،ومعاذ بن جبل، وابي بن كعب، وزيد بن ثابت ورجال وانطلقت معهم ،فرفع إلى رسول الله الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شأن ،فأفاضت عيناه ،فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ،وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)[1] ومنها كان -عليه الصلاة والسلام -يحمل الأطفال وهو في الصلاة ،فقد ورد عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺكان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب «بنت رسول الله ،»ولأبي العاص بن الربيع «فاذا قام حملها، وإذا سجد وضعها ،قال :»يحيى « قال : «نعم)[2] ومنها حمل -عليه الصلاة والسلام - «الحسن» أو «الحسين» في الصلاة ريحنتا رسول الله فعن عبد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه،١/ ٤٣١،رقم الحديث ١٢٢٤،باب قول النبي ﷺ ،وأخرجه مسلم في باب البكاء على الميت، ٣/ ٣٩رقم الحديث ٢١٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه،٢/ ٧٣،رقم الحديث ١٢٤٠،باب جواز حمل الصبيان في الصلاة .

الله بن شداد الهاد عن أبيه قال : (خرج علينا رسول اللهﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر ،وهو حامل إحدى ابنيه الحسن والحسين فتقدم رسول الله ﷺفوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجده أطالها قال أبي: فرفعت رأي من بين الناس فاذا رسول الله ﷺساجداً واذا الغلام راكباً على ظهره فعدت فسجدت فلما أنصرف رسول الله ﷺقال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدت ما كنت سجدتها أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال : كل ذلك لم يكن ولكن ابني أرتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته) [1] فلما قضى رسول الله بين له الأسباب وأعتذر منهم لطالته في الصلاة وغير ذلك من رحمته ﷺ فقد رحم اليتيم وأعتبره هو الأب لهو والكافل له، فقال: (أنا وكافل اليتيم كهاتين) [2] وأشار بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وغير ذلك من المواقف التي هي كثيرة في هذا المجال .

المطلب الثامن : رحمته بإمته

وأعني بالأمة أمة محمد ﷺ فاذا كان نبينا رحمة للكافرين ،فيكون رحمة بالمؤمنين من باب أولى ،كيف لا وقد وصف الله في كتابه العزيز ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] والرؤوف : المبالغ في الرأفة والشفقة ،لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا النبي محمد ﷺ ((بالمؤمنين رؤوف رحيم)) و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ [4] ﴾[5] وهذا يدل على أن النبي أختص بهما دون غيره من الأنبياء كما ذكرنا آنفا إن هذه الرحمة

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ،٣/ ١٨١،رقم الحديث ٤٧٤٥،باب مناقي الحسن والحسين .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ،٨/ ٩،رقم الحديث ،٦٠٠٥،باب فضل من يعول يتيماً.
(٣) سورة التوبة، الآية : ١٢٨.
(٤) سورة الحج، الآية : ٦٥.
(٥) الجامع لأحكام القران ،للقرطبي،٨/ ٣٠٢.

أختص بها دون غيره من المخلوقات . والرأفة عبارة عن السعي في إزالة الضرر، والرحمة عبارة عن السعي في إيصال النفع، فهوﷺ يسعى بشدة في إيصال الخير، والنفع للمؤمنين ،وفي إزالة كل مكروه عنهم . [1] وقيل رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين .[2] ومنه ما يدل على رحمته ،قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[3] وما كانت هذه الأمة خير الأمم إلا لأن نبيها خير الأنبياء ،فهذه أعظم رحمة لهذه الأمة ،وجاءت تلك الرحمة ،وهي الفضيلة على سائر الأم نبينا محمد ﷺ[4] لمن أتبعه وآمن به وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر ....الخ. ومن خلال ما تقدم تبين لنا أن رحمة النبي بالمؤمنين ،كانت على وجه الخصوص ،وإنه خصهم برحمته ﷺ كيف لا وقد سميت هذه الأمة بالأمة المرحومة ،كيف لا وإن النبي «موسى « تمنا أن يكون أحد أفراد هذه الأمة ،كيف لا وإن عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ينزل في آخر الزمان ويكون من امة محمد -ﷺ- يحكم بما أنزل عليه أي : على نبينا وهو نبي وكل ذلك مصداقاً، لقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]

المطلب التاسع :رحمته في عالم البرزخ

لما مر النبي الكريم في قبرين فوجدهما يعذبان وما يعذبان بكبير فقام ودعا بجريدة ووضعها عليهما ليخفف عنهما العذاب ،فقد ورد في الحديث مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ (يعذبان

(١) التفسير الوسيط ،محمد سيد طنطاوي، ١/ ٢٠٦٨.
(٢) زاد المسير ،لابن الجوزي، ٣/ ٥١٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية : ١١٠.
(٤) معالم التنزيل ،للبغوي،٢/ ٨٩،والكشاف ،للزمخشري، ١/ ٣١١.
(٥) سورة الأنبياء ،الآية : ١٠٧.

وما يعذبان في كبير)ثم قال : (بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله ،وكان الآخر يمشي بالنميمة)ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة ،فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا ؟قال :(لعله إن يخفف عنهما مالم تيبسا، أو إلى أن ييبسا)[1] فلما خفف عنهما العذاب، وكان بجريدةٍ النخل أو العسيب، فمن الذي وضعه أليس رسولنا الكريم ،رحمة بهما ورأفة وهو تشريع لمن بعده. -والله أعلم -

المطلب العاشر : رحمته في الآخرة

إن الرسول الاعظم ﷺ كما هو رحمة في عالم الدنيا ،فهو رحمة في الآخرة ،فقد أعطي الشفاعة الكبرى ،واختص بها دون غيره، فقد خير رسول الله ﷺ بين أن يدخل نصف أمته الجنة ،وبين الشفاعة ،فقد أختار رسول الله الشفاعة .[2] وقد سأل نبينا الله الشفاعة وأعطيت له وهي نائلة إن شاء الله تعالى ،لمن لا يشرك بالله شيئا .[3] فقد أورد البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه- قال : (كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع ،وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: ((أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم؟ يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر، ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس الا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلق الله بيده ،ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ،ألا ترى ما نحن فيه، وما بلغنا؟ فيقول ربي غضب غضباً لم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،١/ ٨٨،رقم الحديث ٢١٣،وأخرجه مسلم ،١/ ١٦٦،رقم الحديث،٧٠٣.

(٢) دلائل النبوة ،للبيهقي،٨/ ١٤٧،رقم الحديث ٣٠١٥.

(٣) قصص الأنبياء ،٢/ ٤٠٨.

يغضبه قبله مثله ،ولا يغضب بعده مثله ،ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي أذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً، فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الارض ،وسماك الله عبداً شكوراً، أما ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما بلغنا ،ألا تشفع لنا إلى ربك ؟فيقول ربي غضب، اليوم غضباً لم يغضبه قبله مثله ،ولا يغضب بعده مثله ،نفسي نفسي، أئتوا النبي ﷺ فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال : يا محمد ارفع رأسك، وأشفع تشفع، وأسال تعطى)[1] فأي نعمة بعد هذا وأي رحمة بعد هذه ،أليس يستحق نبينا ذلك كله ،وهو الذي قال في حقه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ،٣/ ١٢١٥ ،رقم الحديث،٣١٦٢.

(٢) سورة الأنبياء ،الآية :١٠٧.

الخاتمة

الحمد لله وكفى ،-والصلاة والسلام -على نبيه المصطفى ،وعلى آله وصحبه ومن اقتفى وبعد: فإن أي بحث علمي أو موضوع يدرس، لا بد وات تكون له خاتمة تتوج ذلك العمل، وبحثنا هذا نوجز خاتمته بنقاط عدة ليسهل على القارئ أن ينتفع بما قرأ، وأن يفهم الخلاصة منه، وتعم الفائدة للجميع، وعلى ذلك جاءت الخاتمة على النحو الآتي:

* تبين لنا من خلال ما تقدم، أن الرحمة: هي الرأفة، والين، والرق، والعطف، والتعاطف بين الأقارب الرحمة لها اطلاقات كثيرة في القرآن الكريم، منها: الجنة، والإسلام، والإيمان، والنبوة، والقرآن، والمطر، والرزق، والنعمة، والعافية، والنصر، والمنة، والسعة، والمودة، والعصمة، ووجه آخر نضيف لها وهي الشمس.

* وأن تلك الرحمة هي: رحمة واحدة في الأصل ،كلها تعود إلى رحمة الله التي قسمها إلى مائة رحمة أنزل واحدة منها بين الخلائق وادخر منها الباقي لحكمة الله أعلم بمرادها .

* أن من بين المخلوقات سيد الكائنات محمد عليه -أفضل الصلاة والسلام -فإنه قد خصه الله تعالى برحمة دون سائر هذه المخلوقات فهو رحمة مهداة وبعث مبشراً لا منفراً ،وانظر إلى إحسانه وأخلاقه الكريمة مع المخلوقات كافة ،وكيف يلين قلبه معهم، فاستحق في ذلك أن يوصف بقوله : { وما ارسلناك الا رحمة للعالمين }[1]

* أن رحمة النبي -ﷺ -زرعت في قلبه فكانت ناتجة أن تكون تلك الرحمة رحمة في أكله ،وشربه ،ومشيه، وقعوده، ومنامه، واستيقاظه ،وفي حله وترحاله ،رحمة بالنبات ،ورحمة بالحيوان ،رحمة بالأطفال، والنساء رحمة بالأرض ،وفي السماء، رحمة شملت الأنس ،والجن أجمعين ،دون الاختصار على المؤمنين ،والذي يجمع كل ذلك قوله تعالى :

(١) سورة الأنبياء ،الآية :١٠٧.

وما أرسلناك الآية. وليس يراد بالعالم عالم الإنس والجن فقط، فالعالمون جمع مفرده :عالم ،والعالم ما سوى الله -عز وجل-فشملت رحمته كل العالمين ،وليس البعض دون البعض الآخر ،وبينا هذا من خلال الآيات القرآنية ،والاحاديث الصحيحة ،وسيرة النبي ﷺ.

* والرحمة أسم من اسماء الرسول -ﷺ- كما سميه (رؤوفاً رحيماً) وهو الموصوف في التوراة بالبشير وبالسمح لا غليظ ولا سخاب ،وهو الذي يعفو ،ويصلح ومن تلك الرحمة رحمة في ولادته ،فقد نصر الله بيته ،وخفف العذاب عن عمه «أبي لهب «الذي من أهل النار ،ومنها رحمته قبل البعثة لما تقاتل القبائل العرب في وضع الحجر الأسود ،ومنها رحمته في عالم النبات ،فقد نهى رسول الله عن قطع الشجر، وحرق النخل، ومنها: منبره السابق الذي هو من جذع النخل فلما تركه رسول الله عندما صنع منبراً جديداً حن عليه الجذع فاحتضنه إلى صدره الشريف ومنها : رحمته بالحيوان مهما صغر حجمه من الحشرات ،والدواب والطيور وغيرها ،ومنها: رحمته بالكفار على الرأي الراجح فكم من كافر أراد قتله وهو يعفو عنه ،وانظر إلى الذين أخرجوه وسبوه وشتموه ماذا قال لهم لما فتح مكة فقال : (ما تظنون إني فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم)[1]

* كل ذلك رحمته في عالم الدنيا ، وتشمل عالم البرزخ فقد خفف العذاب عن أصحاب القبر بجريدتين وضعهما الرسول ﷺ على القبرين الذين صاحباهما يعذبان، ومنها: رحمته في عالم الآخرة فقد أعطي رسولنا الشفاعة الكبرى يشفع بها لامته ولجميع الأمم لمن هم من أصحاب الكبائر ،وأخيراً أقول إن تلك الرحمة شملت جميع العالمين والله أعلم.

(١) غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة : عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني ١٢٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٢. التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

٣. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة ،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٥. جامع البيان في تأويل القرآن ،المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة : الاولى – ١٤٢٠ه–٢٠٠٠م.

٦. الجامع الكبير – سنن الترمذي ،المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٧. الجامع لأحكام القرآن ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط:٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٨. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٩. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد،الناشر: دار العاصمة، السعودية،الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

١٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة : الاولى،/ ١٤١٨ هـ.

١١. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ،المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

١٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،المؤلف :أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخرساني ،أبو بكر البيهقي (المتوفى :٤٥٨ه).

١٣. الرحيق المختوم، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)الطبعة: الأولى.

١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥. زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة .

١٦. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٧. السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)دار إحياء التراث العربي ،الطبعة الأولى .

١٨. السيرة النبوية ،لابن هشام ،لإمام :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد ،دار النشر : دار الجيل – بيروت – ١٤١١،الطبعة : الأولى ،تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد.

١٩. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط:١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠. صحيح البخاري «الجامع الصحيح المختصر «للإمام : محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ،المتوفى ٢٥٦هـ ،الناشر : دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧تحقيق : د. مصطفى ديب البغا.

٢١. صحيح مسلم بشرح النووي، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة الثانية.

٢٢. صحيح مسلم والمسمى "الجامع الصحيح"، للإمام: أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٣. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢٤. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤/ ١٩٩٣.

٢٥. غزوة فتح مكة في ضوء السنة المطهرة، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، تحقيق: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

٢٧. في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

٢٨. قصص الأنبياء، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

٢٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم

محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٣٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين :لابن الجوزي، دار النشر / دار الوطن - الرياض - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م،تحقيق : علي حسين البواب.

٣١. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٢. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٣٣. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،الناشر : دار صادر - بيروت ط١.

٣٤. مجموع الفتاوى: لابن تيمية ،تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار ،الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الإمام: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣٦. المستدرك على الصحيحين، المؤلف: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٣٧. مسند أبي يعلى، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، المتوفى: ٣٠٧ هـ، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٣٨. مشكل الآثار، موقع جامع الحديث.

٣٩. معالم التنزيل: للإمام: محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ،الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٠. المعجم الكبير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٤١. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر ،الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢. معرفة السنن والآثار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، [ت: ١٠/ جمادى الأولى/ ٤٥٨]، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٤٣. المغازي : الواقدي، دار التراث العربي ط ١.

٤٤. مفاتيح الغيب، والمشهور بالتفسير الكبير: المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

٤٥. المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:

٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م.

٤٦. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: لابن الجوزي، دار النشر : مؤسسة الرسالة – لبنان / بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي.